

المبحث الرابع عشر الأحاساس

«الأحاساس وظيفة احتجنا لمعرفة
كيفية حدوثها لعشرات السنين، وأشار
إليها القرآن الكريم فى جملة واحدة».

د: شارلز بالتييمور

أستاذ المخ والأعصاب

جامعة كورنل، أمريكا

الأحساس من النعم العظيمة التي منحها الله لسائر الكائنات الحية، ويتحكم في أداؤها ذلك الجهاز المعقد التركيب «الجهاز العصبي»، والذي تختلف درجة تعقيده من كائن حي لآخر، ويعتمد ذلك على درجة نشاط الكائن الحي، والوظيفة التي يقوم بها في الحياة.

يتواجد الجهاز العصبي في الكائنات غير الراقية في صورة عقد عصبية بسيطة تتعقد في الكائنات الراقية لتصل إلى قمة تعقيدها في الإنسان حيث يوجد جهاز عصبي مركزي له أقسامه ووظائفه، وجهاز عصبي سمبواوي له أقسامه ووظائفه، ويزداد التعقيد الوظيفي للخلايا العصبية، فلا توجد خلية تقوم وحدها بوظائف الحس والتوصيل والاستجابة، بل يوجد تقسيم محدد يهدف إلى توزيع الوظائف والأدوار للوصول إلى أداء مثالي بديع متزن من خلال وجود خلايا عصبية سطحية بالجلد تقوم بنقل المؤثرات الخارجية، ولولا وجودها لانعدم الأحساس بهذه المؤثرات، ورغم استقبالها لهذه المؤثرات إلا أنها لا تدرك معانيها، ومن ثم فهي لا تمتلك القدرة على إحداث رد فعل تجاه المؤثر.

لذلك تقوم هذه الخلايا بنقل الرسالة العصبية الخاصة بالمؤثر من خلايا عصبية موصلة يقتصر دورها على النقل فقط إلى الخلايا العصبية المستوولة عن ترجمة هذه الرسائل وتحويلها إلى معاني والتفاعل معها بإصدار تعليمات للأعصاب المحركة بالتعامل مع المؤثر بالاقتراب منه أو البعد عنه.... الخ.

غياب أحد هذه الخلايا يعني عدم اتمام عمليات ردود الفعل من الجسم تجاه المؤثرات الخارجية، ولاسيما الخلايا الحية، والتي تعتبر المتعامل مع تلك المؤثرات.

ورغم أن كشف كيفية تحكم السيل العصبي في الاستجابة للمؤثرات استغرق وقتاً طويلاً، واحتاج إلى تكامل العديد من المراكز البحثية والباحثين، إلا أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك في عبارات موجزة في قول الله تعالى في الآية (٥٦) من سورة النساء:

﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدِلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

فالآية الكريمة تنحدث عن كيفية أحساس الكافرين بعذاب النار يوم القيامة، وتذكر صراحةً أنَّ ذلك يتم من خلال الجلد، والمقصود الخلايا الحية الموجودة بالجلد، والتي إذا نضجت والمقصود بنضجها فقدانها لوظيفتها، ومن ثم فلمعاودة الأحساس لابد من تجديدها، من خلال تجديد الجلد المحتوى عليها، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة.